استراتيجية الدفاع البريطاني في حصار الكوت (٥كانون الاول ١٩١٥-٢٩ نيسان ١٩١٦)

أ.م.د فهد عويد عبد/ كلية الاداب/ جامعة واسط

أ.م.د علي خيري مطرود/ كلية التربية/ جامعة واسط

المقدمة:

(تعتبر عملية كوت الامارة اكبر فاجعة مذلة وقعت لأية حملة بريطانية منذ عام ١٨٤٢ ،حين مات في عملية انسحاب جنونية من كابل ستة عشر الف مقاتل بسبب قرار اتخذه قائد نصف عاقل. وكتب لهذه الحادثة ان تبقى بصفتها اكبر فاجعة مخزية الى ان تم سقوط سنغافوره عام ١٩٤٢)، بهذه الكلمات استهل رسل برادون وهو احد الضباط البريطانيين المعاصرين للأحداث كتابه عن حصار الكوت، الذي استمر ١٤٧ يوما عانى فيها البريطانيون ويلات الهزيمة والانكسار، الامر الذي ترك اثره واضحا على سير العمليات العسكرية والستراتيجيات التي يتحرك البريطانيون على هديها لاحقا. ومن أبرز ما اثارته هذه الحادثة من انعكاسات هي حالة التراشق وتخطئة الاخر بين القادة البريطانيين آنذاك، حول الستراتيجية الدفاعية التي اتبعت من قبل الجنرال طونزند اثناء حصار الكوت، الامر الذي جعل الموضوع جدير بالدراسة ،وقد حاول الباحثان الوقوف على تفاصيله من خلال بعض المصادر الوثائقية فضلا عن مؤلفات من عاصروا الاحداث.

أولا- العراق في المخططات البريطانية عشية اندلاع الحرب العالمية الاولى:

على الرغم من أن العلاقات البريطانية – العراقية تعود الى عام ١٦٣٥ بوصول أول شحنة صغيرة الى البصرة من خلال شركة الهند الشرقية الانكليزية آنذاك .([١]) بيد أن بريطانيا طيلة تلك الفترة لم تفكر باحتلال العراق والاكتفاء بتركيز جهدها على النشاط التجاري وان بقيت البلاد موضع منافسة مع القوى الدولية الأخرى لاسيما فرنسا .([٢]) طالما وان علاقاتها مع العراق تنظمها المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية التي تعود في أقدم تاريخ لها الى عام ١٥٥٦([٣])

بقيت العلاقات بين الطرفين على هذا المنوال حتى عام ١٧٩٨ اذ شهدت سياسة بريطانيا الشرقية انعطافة مهمة جراء الغزو الفرنسي لمصر وانعكاساته على العراق ،التي كانت في مقدمتها زيادة اهتمام الحكومة البريطانية بالعراق واصطباغ نشاطها بالصبغة السياسية معربة عن ذلك بفتح مقيمية لها في بغداد في ٢١ ايلول ١٧٨٩ ([٤]) ومع فشل المشروع الفرنسي في الشرق ،اخذت المصالح في المنطقة بالتنامي طيلة القرن التاسع عشر حتى اصبحت لبريطانيا الارجحية لكن ذلك لم يدم طويلا لاسيما بعد وصول الالمان في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر كمنافسين جدد وحصولهم من الدولة العثمانية عام ١٨٩٩ على امتياز مشروع سكة حديد بغداد - برلين الذي يبدأ من قونية في اسيا الصغرى الى الخليج العربي مرورا ببغداد ،لما يحمله هذا المشروع من نسف للمشاريع البريطانية في العراق ([٥])

وتهديد مباشر للمصالح البريطانية برمتها في المنطقة ([٦]). بل واعقب ذلك قيام بعثة المانية فنية ترأسها القنصل الالماني العام في اسطنبول برحلة على طول الخط المقترح في العراق،([٧]) وبشكل متزامن مع ذلك صدرت الاوامر للسفينة الحربية الالمانية آرونا بأن تزور البصرة اثناء عودتها من الشرق الاقصى ،وفي عام ١٩٠٣ توجت المساعي الالمانية بتوقيع اتفاقية جديدة اكدت مضامين معاهدة عام ١٨٩٩ السابقة .([٨])

كانت هذه الخطوات الالمانية كافية لاثارة المخاوف البريطانية وبالتالي معارضة المشروع معارضة صارمة، ومن جانب آخر بدأ الحديث في أروقة الحكومة البريطانية حول الضعف العثماني، وكأن الخط العام للسياسة البريطانية أخذ ينعطف باتجاه انتهاز الفرصة لاقتطاع حصتها من الدولة العثمانية، ومنذ تلك اللحظة اخذت السياسة الخارجية الالمانية تركز على المحافظة على كيان الدولة العثمانية المتداعي .([٩]) ومن هنا كان القرار القاضي بنسف العلاقات البريطانية – العثمانية واستبدال ذلك بالتفاهم مع روسيا في عهد وزارة كلادستون موضع استهجان الكثير من القادة العسكريين البريطانيين .([١٠])

أدى هذا العامل الى تصدر العامل الاستراتيجي على بقية العوامل في السياسة البريطانية تجاه العراق، فالمشروع يهدد بايصال الالمان الى رأس الخليج العربي، وبالتالي يهدد الاستراتيجية البريطانية في منطقة حرصت بريطانيا على ضمان احتكارها سياسيا وعسكريا ،ويتضح هذا بشكل اكبر في المفاوضات البريطانية – الالمانية التي جرت بخصوص هذا المشروع أي من بغداد نحو الجنوب، وعلى الرغم من توصل الطرفان الى عقد اتفاقية في ١٥ تموز ١٩١٤ التي تقضي بتخلي بريطانيا عن معارضتها للمشروع مقابل تخلي الشركة الالمانية – التركية عن حقوقها في ايصال الخط الى الخليج او اقامة ميناء هناك ،وعلى الرغم من ان المعاهدة لم تدخل حيز التنفيذ بسبب اندلاع الحرب ([١١])،غير انه في الوقت ذاته كانت كافية للايحاء باستماتة البريطانيين حول المنطقة .

وبشكل متزامن مع موضوع السكة فان التجارة البريطانية واجهت منافسة من النشاط التجاري الالماني الذي تضاعف حوالي ١٠ مرات في الدولة العثمانية بين عامي ١٨٨٩ – ١٩١٢ ، ومع ان المانيا لم تفلح في تحدي المركز التجاري البريطاني في العراق تحديا جديا ،الا ان الاوساط البريطانية اهتمت بالمنافسة الالمانية ومخاطرها المحتملة ،فقد زار السير جورج لويد G.Lioyd العراق في سنة ١٩٠٧ وقدم بعده تقريرا وافيا الى اللجنة الاستشارية الخاصة بالاستخبارات التجارية في غرفة التجارة بلندن ،اشار فيه الى وسائل الالمان للتغلغل تجاريا في العراق، وقدم مقترحات عديدة الى التجار والشركات التجارية البريطانية للحفاظ على التفوق البريطاني في العراق .([١٢])

وكان النفط احدى المصالح التخمينية التي اشعلت فتيل المنافسة بين بريطانيا وغيرها من القوى الاخرى لاسيما بعد ان استطاع وليم نوكس دارسي W.N.Darcy وهو احد الرعايا البريطانيين الحصول على امتياز نفطي من شاه فارس عام ١٩٠١.(١٣) وكان الاعتقاد السائد انذاك ان منابع النفط في بلاد فارس والعراق جزء من تركيب جيولوجي واحد ، وعلى اثر ذلك بدأ التسابق المحموم بين المصالح البريطانية والالمانية والهولندية والامريكية قبيل الحرب العالمية الاولى .(١٤)

ويأتي في سياق الاهتمام البريطاني في بلاد الرافدين ما تخلل السنوات ١٩٠٣ – ١٩١٤ من زيارات للمسؤولين البريطانيين في المنطقة ، وكتابتهم التقارير الوافية حول المنطقة والنشاط الاجنبي فيها ومن ذلك على سبيل المثال زيارة العقيد نيو مارج L.S.Newmarch الذي قام بعد جولات في انحاء العراق ابان توليه ممثل بلاده في بغداد بين عامي ١٩٠٢-١٩٠٦ وزيارة خلفه J.Ramsy ١٩٠٦-١٩٠٩ مبررا طلبه للقيام بها بانها ستؤدي الى جمع المعلومات عن عشائر المنطقة واكمال المعلومات الطبوغرافية والعسكرية اللازمة في حالة القيام بعمليات عسكرية في بلاد الرافدين (١٥) ووصلت درجة التفصيل في تقارير البعض الى الايضاح بضعف الادارة والوجود التركي في العراق في محاولة لإسالة لعاب الحكومة البريطانية لفرض مزيد من التغلغل في العراق ،ومن ذلك التقرير الذي اعده جون لوريمر J.J.Lurimer ممثل الحكومة البريطانية في بغداد عام ١٩٠٩ قائلا (جهاز الادارة التركي العام لا يلائم العراق من جميع الوجوه تقريبا ، وعلى الترك انفسهم ان يعترفوا بانه جهاز فاشل هنا ، وبرغم ان فشله هذا يتضح وضوحا كافيا ،فهناك قليل منهم من يدرك الاسباب التي ادت اليه ،فليس العراق جزءا متمما من الامبراطورية العثمانية لكنه تابع اجنبي من توابعها تقريبا وان حكومته التي يديرها موظفون اعتادو الجلوس بموجب تعليمات وانظمه دقيقه وضعت في اسطنبول لتطبق على بلاد العرب التركية لا يمكن ان تكون حكومة وافية بالمرام على الاطلاق) (١٦) .

وبين الشرق والغرب نجد تبريرات كثيرة للاحتلال البريطاني للعراق ،فتبرير سلطات الاحتلال البريطاني جاء على لسان المس بيل قائلة (وقد فرضت علينا المصالح البحرية والتجارية في الخليج العربي ،واهميته السياسية لحكومة الهند، مسؤوليات لم يكن بوسعنا ان نتحاشاها ،فكان موقفنا تجاه شيوخ العرب المقيمين على سواحله قد تعزز بصورة تدريجية ،ونظمنا علاقاتنا بسلطان مسقط وشيوخ الساحل المهادن وجزيرة البحرين بمعاهدات، وكان ابن سعود عاهل نجد الذي مد رواق سلطانه في ١٩١٣ الى البحر ، متلهفا للحصول على مؤازرتنا له واعترافنا به، كما طمنا شيخ الكويت الذي كان يتوجس خيفة على الدوام من تجاوزات العثمانيين عليه ، ووعدنا بحمايتنا له، وكان شيخ المحمرة العربي بعنصريته الايراني بتابعيته يتطلع الى مساعدتنا في المحافظة على وضعه تجاه الشاه والسلطان معا ،وكانت هذه المحالفات ذات نفع بالغ الاهمية عندما اعلنت الحرب على تركية).(١٧)

في حين نجد التبرير الشرقي للتعاون مع البريطانيين ضد الاتراك عند احد الكتاب القوميين بقوله (يبدو ان فكرة التعاون مع الانكليز لتحقيق استقلال العرب كانت مغرية على الاقل بالنسبة لبعض الضباط العراقيين) .([١٨]) ويعلل ذلك بالهجمة التي قادتها سلطات الاتحاديين ضد هؤلاء الضباط. ([١٩]) وبغض النظر عن مصداقية الوعود البريطانية وتصديق الضباط العرب، فكلا الطرفين عول كثيرا على تلك المباحثات وعلق عليها الآمال .([٢٠]) وبين هذين التبريرين تسارعت وتيرة الاحداث على المستوى العالمي، وتأزمت العلاقات بين الفاعلين الدوليين، وبغض النظر عن الاسباب والتأثيرات التي دفعت الدولة العثمانية لدخول الحرب فقد اخذت الدوائر البريطانية في لندن والهند بالتخطيط لحملة بريطانية في بلاد ما بين النهرين تحافظ من خلالها بريطانيا على مواقعها في الخليج العربي .([٢١])

حصار الكوت

ما ان لاحت بوادر الحرب العالمية الاولى، واصبح لاتباع المدرسة الهندية في السياسة البريطانية كفة الرجحان ([٢٢]) ارتأت الجهات المختصة في لندن ان تتخذ بعض التدابير الاحتياطية في مقدمة الخليج العربي ظاهرها حماية مؤسسات النفط في عبادان من تخريب العثمانيين لها في حال دخولهم الحرب ضد بريطانيا ،فيحرم الاسطول البريطاني من اهم مورد من موارد الوقود، وفي ١ ايلول ١٩١٤ كتب مستر تشرشل وزير الحربية البريطاني في ذلك الى الاميرال سليدر slider في الهند يطلب منه الاسراع في ارسال حملة الى عبادان لحماية مؤسسات النفط فيها ([٢٣]) وهي حركة الهدف منها فضلا عن ذلك انجاد شيخي الكويت والمحمرة وللايحاء للعثمانيين وغيرهم بان بريطانيا مهتمة بامر العرب وموقفهم من الحرب ،فيكون ذلك ضربة استباقية لفكرة الجهاد التي كانت الدولة العثمانية تلوح بها على الدوام. ([٢٤])

وبقليل من التردد يمكن القول بأن خطط القيادات العسكرية البريطانية لم تتجاوز في أعلى سقف لها إلى احتلال العراق كاملا، إنما اقتصرت خططها بادئ ذي بدء على حماية منابع النفط الإيراني في شوشتر وحماية ١٤٠ من خط الأنابيب الذي كان يوصل هذه الآبار بالمصافي في عبادان،وعلى اقل تقدير يمكن القول بذلك إلى ما قبل ٢٣تشرين الثاني ١٩١٤.إذ برزت لنا آنذاك جملة من الآراء كل منها مثل مركزا من مراكز القرار البريطاني، فوزارة الخارجية كانت ترغب في تحاشي الاصطدام بالأتراك لتخوفها من إعلان الجهاد المقدس ،أما وزارة الحرب فكانت ترى ضرورة تأمين منابع النفط في المنطقة وإغلاق مدخل شط العرب، بينما كانت حكومة الهند تصر على ضرورة حماية أصدقاء بريطانيا في الخليج (شيوخ الخليج والاحواز).وبعد سلسلة من المخاطبات تقرر الأخذ بوجهة نظر وزارة الحرب. وأوكل إلى حكومة الهند البريطانية بإدارة ملف الحملة على عكس جبهات القتال الأخرى التي كانت تشرف عليها رئاسة أركان الجيش الإمبراطوري. ([٢٥])

بدأت الحرب العالمية الاولى باعلان النمسا الحرب على صربيا في ٢٨ تموز ١٩١٤ ،وفي الاول من آب اعلنت المانيا الحرب على روسيا، وفي الرابع من الشهر ذاته اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا ، وفي ٢٩ تشرين الاول هاجم الاميرال الالماني شوشرن المستخدم في البحرية العثمانية المواني‌ء الروسية في البحر الاسود دون موافقة الحكومة العثمانية ، وفي ٢ تشرين الثاني اعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية ،تبعتها بريطانيا وفرنسا في الخامس من الشهر ذاته .([٢٦])

لم يسع الحكومة البريطانية امام هذه المستجدات الا الاقرار بواقع الحال الجديد ، وفي اوائل تشرين الاول عام ١٩١٤صدرت الاوامر السرية الى لواء المشاة السادس عشر من الفرقة السادسة بالابحار من بومباي الى الخليج العربي ، وكانت هذه الحملة مؤلفة من بطريتان من المدفعية الجبلية ، وما يتبعها من خدمات صحية ونقلية وغيرها ،وبموجود هو ٩١ ضابط و٩١٨ جنديا بريطانيا و٨٢ ضابطا و٢٦٤٠ جنديا هنديا مع ٤٦٠ تابعا ،فبلغت القوة المحاربة ١٧٣ ضابطا و٤٥٥٨ جنديا و١٢ مدفعا و١٢٩٠ دابة وقد سميت هذه القوة بحملة D نسبة الى من انيط به قيادتها وهو الجنرال ديلامين Delamen وفضلا عن هذا تقرر اسناد هذه القوة بقوة اخرى ترسل لاحقا يقودها العميد السير آرثر باريت A.Baret قائد الفرقة السادسة ويكون ملف الحملة باجمعها تحت ادارة حكومة الهند .([٢٧])

واذا اردنا ان نترك لغة الارقام تختزل لنا تفاصيل الحملة العسكرية البريطانية في جنوب العراق والتي سنقف عليها بايجاز وصولا الى حصار الكوت (٥ كانون الاول – ٢٩ نيسان ١٩١٦) ،فقد وصلت حملة الجنرال ديلامين الى مياه شط العرب في ٣ تشرين الثاني ، واحتلت قرية الفاو في السادس منه، بعد ان اسكتت المدافع التركية في ساعة واحدة ،علما ان جل ما استطاع الجانب العثماني تحشيده ليلة انزال البريطانيين في الفاو هو ٤٧٠٠ مقاتل مع ١٨ مدفع و٢٨٠ سيف و٣ رشاشات ،وتزامن مع ذلك ان غادر باريت الهند متوجها الى شط العرب في الثالث عشر من الشهر ذاته واتمت القوة البريطانية احتلال البصرة في الثاني والعشرين من الشهر ذاته .([٢٨]) واعقب ذلك احتلال العمارة في ٣ حزيران، واحتلال الناصرية على محور الفرات في ٢٥ تموز من العام ذاته، بعد ان كانت للبريطانيين الارجحية على القوات العثمانية وقوة القبائل المقاومة في معركة الشعيبة التي جرت في ١٢ نيسان ،فانفتح الطريق امامها للتقدم و الزحف على الكوت ليلة ٣٠ ايلول /١ تشرين الاول ١٩١٥ على اثر انسحاب القوات العثمانية الى محور سلمان باك- المسيب في ٥ تشرين الاول ١٩١٥ وتعقب القوات البريطانية لنظيرتها العثمانية إلى هناك فاستقرت في العزيزية في ١١منه،غير ان البريطانيين لم يستطيعوا في مواقعهم الاخيرة في سلمان باك أمام قوة الهجوم المعاكس الذي شنه العثمانيون بين ٢٤-٢٦ من تشرين الثاني ،وبعد ان خسروا في معارك الذهاب والإياب بين الكوت وسلمان باك مايزيد على ٤٥٩٣ قتيل وجريح من مجموع قوتهم المتقدمة والبالغة ١٤,٠٠٠ ،تقابلها خسارة في الجانب العثماني

بلغت ٩٥٢١ شهيد وجريح من مجموع قوتهم البالغة ١٩,٠٠٠ مقاتل ، انسحبوا إلى الكوت ودخلوها في ٥ من كانون الاول .كخطأ عده البعض من اكبر اخطاء البريطانيين في الجبهة العراقية آنذاك.([٢٩])

نيكسون القائد العام للقوات البريطانية في العراق كان لا يزال يأمل بأن يشن هجوم مضاد على الاتراك في آذار بعد ان تصله النجدات في كانون الثاني ١٩١٦ وان يتعاون معه الجيش الروسي الذي كان في طريقه الى كرمنشاه الذي قدر ب١١,٠٠٠ مقاتل، وتهور في رأيه لدرجة انه لم يستمع الى الآراء التي قيلت حول عدم مناعة الموضع الذي تجمعت فيه القوات البريطانية المنسحبة ،واكتفى برسالة الجنرال طاوزند في ٢ كانون الاول له، بان القوات منهكة ولا تستطيع الانسحاب الى اكثر من ذلك ،كما انه يصعب على القوات نقل الكثير من الذخائر ومواد التموين التي سبق وان خزنت في الكوت، وعلى الرغم من اعتراض الجنرال ريمنجن قائد موقع الكوت واقتراحه اكمال الانسحاب وعبور دجلة الى موقع السن جنوب الكوت (٧ اميال) وقد اثبتت الايام بعد نظر هذا القائد.([٣٠])

لم يأتي قرار الجنرال طاوزند بقبول الحصار في الكوت من فراغ وانما املته عليه ظروفه الطارئة، ولهذا فقراره لم يخلوا من فوائد ومضار في آن واحد، ويمكن استعراضها كالآتي:

١: فيه سد طريق دجلة بوجه النقليات النهرية العثمانية وهذا يمنع تقدم قوات كبيرة نحو العمارة.

٢:تجنب اتلاف المدخرات الكثيرة الموجودة في الكوت والتي استغرقت وقتا طويلا لتجميعها .

٣:مساعدة قطعات الجنرال طاوزند المنهكة من خلال اعادة هيكلتها في الكوت وإسنادها .

٤: كان يمكن من خلال ذلك صد اي هجوم متوقع يقوم به العثمانيون باتجاه جنوب العراق .([٣١])

٥: محاولة الاستفادة من القوات الروسية المزمع ارسالها للزحف على محور بغداد للمساعدة في الجهود العسكرية البريطانية ، لاسيما وان البريطانيين ما ان اطبق عليهم الحصار في الكوت حتى اخذوا يستحثون الروس على التقدم لتهديد بغداد التي تمثل مؤخرة الجيش العثماني آنذاك ([٣٢])

واذا كانت هذه النقاط يمكن ان تشكل الجانب الايجابي في قرار الجنرال طاونزند فجانبها السلبي يكون بالآتي:

١:شل الفرقة البريطانية السادسة كقوة محاربة بإرغامها على قبول الحصار.

٢:احتمال فشل حركات الإنقاذ لتوارد النجدات التركية ولقرب فصل الشتاء والفيضان.

٣: انعكاس حالة القوة المحاصرة على مجريات الحرب في مناطق اخرى اذ سيتحول الهدف من التقدم الى محاولة فك الحصار.

٤: لم يأخذ عنصر الوقت حقه الكافي في تفكير الجنرال طونزند حول المساعدة الروسية ،وآية ما نذهب اليه هو ان المساعدة الروسية تأخرت كثيرا عن وقتها فكان لذلك اثره على مجريات وتطورات العمليات العسكرية في العراق لاحقا (٣٣)

ان استقراء المصادر يؤكد ان كل من الطرفين البريطاني –العثماني وضع خطته للدفاع والهجوم على التوالي، وتعرضت هذه الخطط الى التغيير بصورة مستمرة حسب مقتضيات الحال، وبرز في خطط كل من الطرفين اخطاء فادحة كبدت كليهما خسائر في الارواح والمعدات واذا أردنا ان نكتفي بمثالين على تلك الاخطاء ،ففيما يتعلق بالخطة البريطانيةكان من ضمن الاخطاء الفادحة للجنرال طاوزند فيها اختياره لموضعه الذي حوصر فيه وهو فوهة انعطافة نهر دجلة في الكوت في وقت كان بإمكانه الاستمرار بالتقدم والتحصن في منطقة السن الاكثر تحصينا الامر الذي كبده خسائر كبيرة، اما من اخطاء القائد العثماني نور الدين هو استمراره بالهجوم والتعرض للبريطانيين ولثلاث مرات (٩و١٢و٢٤ كانون الاول ١٩١٥) في اقوى نقطة محصنه للبريطانيين عند قلعة الخضيري، بل لم ينقطع عن الهجمات حتى أشار عليه بذلك من المشير الالماني فون در غولج ،وكانت النتيجة ان خسر مايزيد على ١٧٠٠ إصابة بين قتيل وجريح.(٣٤)

من ضمن ما تضمنته الإستراتيجية البريطانية حيال حصار قواتهم في الكوت هو القيام بعميات انقاذ مستمرة تخللتها سلسلة من المعارك الطاحنة بدءا من (معركة شيخ سعد ٢٠ كانون الثاني –معركة سابس ٩آذار-معركة الفلاحية ٥ -٩ نيسان –معارك الصناعيات ١٢-٢٢ نيسان ١٩١٦) وعلى الرغم من ارتفاع عدد القوات المقاتلة في كل تلك الجبهات الى مايزيد عن ٥,٠٠٠ مقاتل ،لكن كل هذه المحاولات كان مصيرها الفشل الذريع، وابرز ماترتب عليها ان استسلمت قوة الجنرال طاوزند المحاصرة في الكوت في ٢٩ نيسان ١٩١٦ .(٣٥) وبقليل من المجازفة يمكن القول ان النتيجة السلبية بالنسبة للجانب البريطاني والمتمثلة بتسليم قواتهم لم تملها مستجدات الحرب بقدر ما كانت اخطاء كامنة في ستراتيجية الانقاذ الموضوعة مسبقا، فمن جانب فان الجنرال نيكسون عندما كان يلح بالتقدم مسبقا باتجاه بغداد كان يعلم بانه شيعزز بفرقتين لكنه اهمل مسائل نقل هاتين الفرقتين الى مواقع القتال، الامر الذي ظل انعكاسه قائما خلال سلسلة المعارك اللاحقة، ومن جانب آخر فأن خطة الانقاذ كانت قد وضعت على هدفين متناقضين ،والاول فيهما ان فك حصار القوه المحاصرة يتطلب الاسراع بالانقاذ وثانيهما ان التحرك للإنقاذ يتطلب المزيد من الوقت لتجحفل القوات ووصولها من جنوب العراق الى منطقة على الغربي، ومسؤولية ذلك وتبعته تقع على عاتق الجنرال طاوزند الذي تميزت رسائلة للجنرال نيكسون بالتناقض ومثال ذلك كتب في ١١ كانون الاول ١٩١٥ بوجود ارزاق لديه تكفيه لشهرين أي الى ١١ شباط ،بيد انه طلب انقاذه خلال ١٥ يوم !ثم ابرق موضحا بانه يستطيع الصمود

الى نهاية آذار ،وكتب لاحقا بأنه يتمكن البقاء الى ٢٧ نيسان بالاستفادة من لحوم الخيل والبغال وانقاص استحقاق الجنود الى النصف.([٣٦]) وهنا لابد من تثبيت اهمية التناقض في قرارات الجنرال طاوزند وخطورته في حث قوة الانقاذ على القيام بحركاتها باستعدادات ناقصة الامر الذي شكل عاملا من عوامل تلك النتيجة السلبية.٣٧ ومما يمكن ان يضاف لتلك العوامل هو جعل ادارة ملف حرب العراق بحكومة الهند البريطانية على خلاف جبهات الحرب الاخرى التي تتبع في ادارتها رئاسة اركان الجيش الامبراطوري، الامر الذي كان يعني تداخل الكثير من الصلاحيات، والتأخر في صدور الاوامر لاسيما في الامور الحساسة، اذ كان القرار يصدر كالاتي: يرفع القائد الميداني تقريره الى القائد العام للقوات البريطانية في العراق وهذا يرسل به الى القيادة العامة في الهند وهذه ترفعها بدورها الى نائب الملك ويرفعه هذا في حال موافقته عليه الى وزارة الهند في لندن ويقوم وزير الهند بدراسته مع مستشاريه ومن ثم يدفع به الى وزارة الحرب التي تقدمه بعد دراسته الى رئاسة اركان الجيش الامبراطوري طالبة منها ابداء رأيها حوله. ولكن بعد مرور شهر ونصف من حصار الكوت أي في ١٦ شباط ١٩١٦ ايقنت وزارة الحرب البريطانية عدم جدوى هذه السلسلة الادارية الطويلة فألحقت ملف ادارة الحرب في العراق برئاسة الاركان مباشرة عدا الجانب الاداري فقط،وفي ١٨ تموز من العام ذاته اعتبرت اجراءها يعتريه النقص فالحقت الملف كاملا بما فيه جوانبه الإدارية برئاسة الاركان(٣٨)

الخاتمة:

ان ستراتيجية الدفاع البريطانية في اثناء عملية حصار الكوت بمجملها لم تكن بمستوى يتلائم وخطورة الموقف وتسارع وتيرة الاحداث آنذاك، فمن حيث اختيار منعطف نهر دجله انتقده الكثير من المؤرخين العسكريين من العرب والاجانب، فضلا عن اعطاء عنصر الوقت استحقاقه الكافي من من قبل القادة المحاصرين سواء الامر ترك اثره وانعكاسه السلبي قائما، سواء في عمليات الهجومات المعاكسة ومحاولات عمليات الانقاذ البريطانية، او في تقدير الوقت الكافي لوصول لقوات الروسية الى العراق وعدم التفكير جيدا باحتمال ارسال العثمانيين لقوات تشاغل القوات الروسية الزاحفة، الامر الذي شكل بالتالي عبئا نفسيا - على اقل تقير – على صمود البريطانيين .وما يمكن ان يضاف لكل ذلك هو ضبابة المعلومات التي تضمنتها رسائل الجنرال طاوزند الى حكومة الهند. الامر الذي ترتب عليه صدور اوامر من القيادة العامة في الهند بتحركات غير مستندة الى حالة من التعبئة الجيدة .

الهوامش:

([١]) ج.ج.لوريمر ،دليل الخليج ،القسم التاريخي ،ج٤،ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر ،مطبعة العروبة ،الدوحة ،١٩٦٧،ص١٧٦٧؛حسين محمد القهواتي ،اضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ،مجلة الخليج العربي ،المجلد ٢٢،العدد ٢ ،البصرة ،١٩٨٠،ص٢٠؛ وللتفاصيل عن تلك الشركة ينظر :

(٢) صالح محمد العابد ،موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠،مطبعة العاني ،بغداد ،١٩٧٩،ص٢١.ومن الجدير بالذكر ان المحاولات البريطانية للاتصال بالعراق تعود لفترات اسبق من ذلك وتحديدا الى عام ١٥٨٣ للتفاصيل ينظر :

George.M.F.A,History of England ,newyork,1957,p347;

فواز مطر الدليمي ،تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩-١٩١٤،رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ،جامعة بغداد ،١٩٨٩،ص٣٠؛ لوريمر ،المصدر السابق ،ج٤، ص ٢٤٠٧-٢٤١٣.

(٣) للاطلاع على نصوص المعاهدات ينظر:

Hurewitz.J.C,Diplomacy in The Near and Middle East ,ADocumentary Record 1535-1914,vol I,NewYork,1956,PP5-6;Williams A,Britain and France in the Middle East and north Africa 1914-1967,newyork ,1968,p2.

(٤) اقتصر التمثيل البريطاني في العراق قبل عام ١٧٩٨ على البصرة .العابد ،المصدر السابق ،ص ٩٧، ٩٩.

(٥) كان للبريطانيين سجل حافل بمحاولات اقامة مشاريع طرق برية تربط بين اوربا والهند عبر الاراضي العراقية ،واقدم تلك الافكار ما تم تداوله عام ١٦٠٠ بين شركة الهند الشرقية ونظيرتها شركة الليفانت البريطانية ،لكن تلك الفكرة انتهت وهي في المهد ،واثير الموضوع مرة اخرى عام ١٧٨٢ بفكرة شخصية قدمها شخص يدعى جون سليفان G.Sllivan لكن النتائج لم تختلف عن سابقتها ،وفي عام ١٨٢٩ اختير السير فرانسيس جسني S.F.Chesney لترأس بعثتين انطلقت الاولى بين عامي ١٨٣٠-١٨٣١ واعقبتها الثانية بين عامي ١٨٣٥-١٨٣٧ لقياس مدى صلاحية الانهار العراقية للملاحة ،وجاء تقرير اللجنة مؤيدا للفكرة فضلا عن امكانية مد سكة حديد تسير بموازاة نهر الفرات ،واعقب هذه المحاولة محاولات ناجحة في تأسيس شركة ملاحية على يد احد الضباط المرافقين وهو الكابتن لنج Lynch مع اخوته عام ١٨٤١ واستمرت تقوم بنشاطها حتى عام ١٨٦١ فتأسست على انقاضها شركة الفرات ودجلة التي مارست اعمالها منذ عام ١٨٦٢ ،وعندما تم افتتاح قناة السويس وكان للفرنسيين سبق الريادة فيها ،اثار ذلك مطامح البريطانيين لدرجة ان الحكومة البريطانية شكلت لجنة خاصة في مجلس العموم البريطاني برئاسة السير نورثكوت لدراسة امكانية مد سكة حديدية تربط بين البحر المتوسط والخليج العربي عبر العراق وقد جائ تقرير اللجنة عام ١٨٧٢ متوافقا مع المشروع ،لكن بما ان اللجنة اشترطت لنجاح المشروع تقديم الحكومة البريطانية بعض الضمانات للرساميل المساهمة في المشروع الامر الذي رفضه رئيس الحكومة كلادستون فادى ذلك لتوقف التنفيذ .وحتى مع تبدل الوزارة ومجيئ دزرائيلي على رأسها ،وعلى الرغم من وجهة نظره القائمة على تعزيز مواقع بريطانيا في قناة السويس بيد انه لم يهمل مشروع السكة العابرة عبر بلاد الرافدين ،من خلال تكليف الباحث كامرون بدراسة مشروع السكة ،لكن تبدل الوزارة عام ١٨٧٩ وعودة حكومة كلادستون حالت دون الاستمرار بالمشروع واهمل التقرير الذي قدمه كامرون .لؤي بحري ،سكة حديد بغداد دراسة في تطور دبلوماسية قضية سكة حديد برلين –بغداد حتى عام ١٩١٤ ،بغداد ١٩٦٧،ص ١-٢٠.

Halford l.Hoskins,British Routes to India ,London,1966,PP134-136;Charels Issawi,The Economic History of the Middle East 1800-1914,Chiicago ,1975,PP180-183.

(٦) عبد الرؤوف سنو ،المانيا والاسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين ،بيروت،٢٠٠٧،ص ٤٧.

(٧) لوريمر ،المصدر السابق ،ج١،ص ٥٣٣-٥٣٤.

(٨) عبد الرؤوف سنو ،المصدر السابق .

(٩) المصدر نفسه ،ص ٢٨، ٣٦- ٣٧ ،٤٨.

(١٠) رسل برادون ،حصار الكوت .في الحرب بين الانكليز والاتراك في العراق سنة ١٩١٤-١٩١٨،ترجمة سليم طه التكريتي وعبد المجيد ياسين التكريتي ،ج١،دار احياء التراث العربي ،بغداد ،١٩٨٥،ص ١٤.

(١١) صالح محمد خضر ،الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١ -١٩١٤ دراسة تاريخية ،دارالشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،٢٠٠٥،ص ٤٠؛ وللتفاصيل حول المفاوضات الالمانية – البريطانية حول المشروع ينظر : لؤي بحري ،المصدر السابق ،ص ١٣٦-١٧٢.

(١٢) صالح محمد خضر ،المصدر السابق ،ص ٤٧.

(١٣) مدة الامتياز كانت ٦٠ عاما وفحواه انفراد صاحب الامتياز بحقوق منفردة بالتنقيب والانتاج وتصفية النفط في مساحة شاسعة قدرت ب ٧٩ % من مساحة البلاد الكلية .خضير مظلوم البديري ،التاريخ المعاصر لايران وتركيا ،ط٢،بيروت ،٢٠١٥،ص ٦٤.

(١٤) أحمد رفيق البرقاوي ،العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢،دار الرشيد ،بغداد ،١٩٨٠،ص١٣؛ صالح محمد خضر ،المصدر السابق ،ص ٥٢.

(١٥) المصدر نفسه ،ص ١٢٤-١٢٥.

([١٦]) نقلا عن : غيرترود بيل ،فصول من تاريخ العراق القريب .كتاب يبحث عن العراق في عهد الاحتلال البريطاني بين سنتي ١٩١٤ -١٩٢٠ ،ترجمة جعفر الخياط ،(د،ت) ،ص ١.

([١٧]) المصدر نفسه ،ص ٢. ومثل هذا الرأي يتبناه رسل برادون :وللتفاصيل ينظر :رسل برادون ،المصدر السابق ،ص ١٣.

([١٨]) وميض عمر نظمي ،الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق ،بيروت ،١٩٨٦ ،ص ١٤٥.

([١٩]) المصدر نفسه .

([٢٠]) وللتفاصيل يراجع ايضا :جورج انطونيوس ،يقضة العرب تاريخ حركة العرب القومية ،ترجمة ناصر الدين الاسد ،احسان عباس ،دارالعلم للملايين ،ط٨ ،١٩٨٧ ،ص ١٨٣-٢٢١.

([٢١]) مالكولم ياب ،نشوء الشرق الادنى الحديث ١٧٩٢-١٩٩٣،ترجمة العجيلي ،دمشق ،١٩٩٨،ص ٢٩٨.

([٢٢]) كان هناك تياران يسودان في السياسة البريطانية تجاه العرب ،احدهما تتبناها حكومة الهند البريطانية والثانية تتبناها نظيرتها في مصر ،وفي حين كان اصحاب التيار الاول يرون في استخدام القوة الوسيلة الانجح في حماية المصالح البريطانية في الشرق كان اصحاب التيار الثاني يميلون الى النشاط الدبلوماسي .للتفاصيل يراجع : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ،ج١، ط٧،الرافدين للطباعة والنشر ،بيروت ،٢٠٠٨، ص ٥٩-٦١.

([٢٣]) هامش (١) ص ٦٢ من المصدر نفسه.

([٢٤]) المصدر نفسه .

ومن الجدير بالذكر هنا ان الحكومة البريطانية وضمن سياق التنافس البحري مع المانيا فقد حولت قسم كبير من قطعات اسطولها البحري من الاعتماد على الفحم الى استخدام النفط ، ومن هنا جاءت ضرورة المحافظة على منابع النفط في الخليج لضمان ديمومة قدرتها في الاستمرار في الحرب .رسل برادون ،المصدر السابق ،ص ١٥ -١٦.

([٢٥]) شكري محمود نديم ،حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨،مطبعة العاني ،بغداد ،١٩٧٤،ص ١٨-٢٣.

([٢٦]) تايلر ،الصراع على السيادة في اوربا ١٨٤٨-١٩١٨ ،ترجمة كاظم هاشم نعمه ويوئيل يوسف عزيز ،الموصل ،د.ت ،ص ٥٨٥- ٥٩٠؛ محمد محمد صالح وآخرون ،الدول الكبرى بين الحربين العالميتين ١٩١٤-١٩٤٥،الموصل ،١٩٨٤،ص ٣٦-٣٨.

([٢٧]) عبد الرزاق الحسني ،المصدر السابق ،ص٦٤.

([٢٨]) مريم بغوره ،التواجد البريطاني في العراق ١٩١٤ -١٩٣٢ ،رسالة ماجستير قدمت الى جامعة محمد خيضر ،سكره ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،٢٠١٥ ،ص ٢٤-٢٥؛ محمود نديم شكري ،المصدر السابق ؛الحسني ،المصدر السابق ،ص٦٥ .

([٢٩]) شكري محمود نديم ،المصدر السابق ٣٦-٤٩؛ ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي ،تاريخ العراق المعاصر ،الموصل ،١٩٨٩،ص ١٢-١٣؛ غيرترود بيل ،المصدر السابق ،ص ٤-١٥، ٧٤-٧٧.

[30]) Report from Lieut-General Sir P.h.N.Lake K.C.B,K.C.M.G,Commanding I.E.F.D,O

On the Defence of Kut –Amarah ,under Major –General C.V.F,Townshend C.B,D.S.O,3rd Decmber 1915- 29th April 1916,General Staff,India,Case No.15146,Simla,Government Central Branch Press,1916.p1-2.

وسنرمز للتقرير لاحقا بالرمز : (R.D.O.K) اختصارا.

([٣١]) طونزند ،مذكرات الفرق طونزند ،ت حامد احمد الورد ،ط٢ ،الدار العربية للموسوعات ،١٩٨٦،ص ٣٥١-٣٥٢.

([٣٢]) شكري محمود نديم ،الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٧ ،دار التضامن ،ط٢،بغداد ،١٩٦٧ ،ص١٤-١٥.

([٣٣]) للتفاصيل حول ذلك يراجع : المصدر نفسه ،ص ٢٨- ٤٥.

(٣٤) Cited in: (R.D.O.K),P2-5.

[35]) Ibid.(

[36])Ibid.(

[37]) Cited in: Ibid,pp5-9.(

([٣٨]) للتفاصيل يراجع : شكري محمود نديم ،حرب العراق ...،ومن المهم القول ان الجنرال طونزند عندما اشتد عليه الحصار في الكوت اقترح على حكومته في ٢٣ نيسان ١٩١٦ ان تشتري حرية جيشها المحصور بمبلغ مليوني باون تقدمها رشوة للقادة الترك وقد صادقت وزارة الحرب البريطانية على هذا الاقتراح ولكن الترك رفضوه بكل اباء .الحسني ،هامش (٢) ،ص ٦٧.